

## الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) يصون عقيدة الناس من الانحراف



بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

يصون عقيدة الناس من الانحراف

رغم قصر مدة الإمامة الفعلية لأبي محمد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وهي ست سنوات (254-260هـ) والحضار الصارم والاعتقال الذي فرضه عليه ملوك عصره وتأمرهم المستمر على قتله لقطع نسله حيث كانوا يعتقدون بأن الإمام المهدى الموعود الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً هو ابنه.

ورغم احتجابه عن الناس إلا نادراً إما بسبب الرقابة الشديدة للسلطة أو لتهيئته لقبول غيبة

الإمام القاسم وتدريبهم على كيفية التعاطي مع الواقع الجديد إلى درجة أن أقربائه لم يكن يرده، روى الكليني بسنده عن محمد بن علي بن إبراهيم بن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) قال: (ضاق بنا الأمر فقال لي أبي: امض بنا حتى نصير إلى هذا الرجل يعني أبو محمد (عليه السلام) فإنه قد وصف عنه سماحته، فقلت: تعرفه؟ قال: ما أعرفه ولا رأيته).

ورغم ابتلائه بالمشككين من شيعته والمقصرين في معرفة حقه حتى روى عنه قوله (عليه السلام) (ما مُنِي أحد من آبائي بمثل ما منيت به من تشكيك هذه العصابة بي).

أقول: رغم ذلك كله فقد ترشح عنه الكثير من الأعمال المباركة في حياة الأمة، ونقف الآن عند واحد منها وهو حرصه (عليه السلام) على سلامة معتقدات الناس وتحصينهم من الضلالات والشبهات، وتوجد عدة شواهد على ذلك من حياته الشريفة.

(منها) تحركه (عليه السلام) لمنع محاولة أبي إسحاق الكندي الذي سُمي بفيلسوف العراق تأليف كتاب في متناقصات القرآن فـعـلـم أحد أصحابه كيف يتقرب منه وبنال ثقته التامة ثم يسأله: هل يمكن أن يكون مراد المتكلم بالقرآن غير المعاني التي فهمتها أنت فيرتفع التناقض الذي طنبته، وفعل الرجل ذلك وأثـرـت الكلمة في الكندي فـمزـق مسودات الكتاب وقد ذكرتُ تفصيل الحادثة في كتاب (دور الأئمة في الحياة الإسلامية).

(ومنها) ما حصل حينما تزعزعت عقيدة كثيرين وارتدى بعضُّهم في زمان المعتمد العباسي -الذى قتل الإمام (عليه السلام)- فقد ذكر المؤرخون أن الناس أصا بهم قحط شديد، فأمر المعتمد العباسي بالخروج إلى الاستسقاء ثلاثة أيام فخرجوا ولم يغاثوا، وخرج النصارى ومعهم راهب كلما مدَّ يده إلى السماء هطلت، وفعل ذلك مكرراً، فشكَّ بعض الجهلة في دينهم، وارتدى البعض الآخر، وشقَّ ذلك على المعتمد ففرز إلى الإمام أبي محمد (عليهم السلام)، وكان في سجنه وقال له: أدرك أمة جدك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل أن يهلكوا، فقال له الإمام (عليه السلام) (يخرجون غداً، وأنا أزيل الشك عنهم إن شاء الله تعالى).

وأخرجه المعتمد من السجن، واشترط الإمام أن يطلق سراح أصحابه جميعاً فاستجاب له وأخرجهم، وفي اليوم التالي خرج الناس للاستقاء، فرفع الراهب يده إلى السماء، فغيّمت ومطرت، فأمر الإمام بتفتيش يده وأخذ ما فيها، وإذا فيها عظم آدمي فأخذه منه وأمره بالاستقاء فرفع يده إلى السماء فزالت ما فيها من غيم، وطلعت الشمس، فعجب الناس من ذلك.

فُسْلَهُ الْمُعْتَمِدُ عَنْ سَرٍّ ذَلِكَ، فَأَجَابُ الْإِمَامَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (هَذَا عَظِيمُ نَبِيٍّ) طَفَرَ بِهِ هَذَا الرَّاهِبُ مِنْ بَعْضِ الْقَبُورِ، وَمَا كُشِّفَ عَظِيمُ نَبِيٍّ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَّا هَطَّلَ بِالْمَطَرِ.

وَتَفْحَصُ الْمُعْتَمِدُ عَنْ ذَلِكَ فَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ الْإِمَامَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَزَالَتِ الشَّهَادَاتُ وَانْتَفَى الشَّكُّ.

إن هذه الرواية وإن كانت تتضمن منقبة وفضيلة للإمام العسكري (عليه السلام) إلا أنها لا تكتفي بالسرد المناقبي لأهل البيت العصمة (عليه السلام) لأنها أعلى من أن نكتشف مقاماً لهم عند الله تعالى بهذه المناقب، فإذا أردنا أن ندخل السرور على قلب الإمام (عليه السلام) ونقول له إن تصحياته وجهوده أثمرت عن معرفة عميقه بمسؤولياتنا أمام الله تعالى، وبرامج عمل نتقرب بها إلى الله تعالى وتصلح بها الأمة وتحيا بها البلاد. وتمهد لدولة ولده المهدي (عليه السلام) المباركة، إذا أردنا ذلك فعلينا أن نتأمل في هذه السيرة المباركة ونقتبس منها ما يوجّه بـ«وصلة حياتنا»، وهذا هو الإحياء الوعي لشعوب أهل البيت (عليهم السلام) ومناسباتهم.

لقد تضمنت هذه الرواية عدة دروس وعبر ينبغي الالتفات إليها للتأنسي بها:

1- ممارسة الإمام وظيفته في حفظ عقائد الإسلام ودفع الشبهات عنه.

2- فضح المضللين والماكرين الذين يضلّون الناس عن دينهم بأساليبهم الشيطانية، سواء من داخل الكيان الإسلامي أو من خارجه، ولا يجامل أحداً حتى لو كان من خواصه، كالذي صدر منه (عليه السلام) في عروة بن يحيى الدهقان الذي كان في أول أمره وكيلًا وثقة للإمام (عليه السلام) لكنه انحرف واختلس أموال الإمام (عليه السلام) فصدر من الإمام (عليه السلام) لعنه وأمر شيعته بلعنه والدعاء عليه.

3- نبل الإمام (عليه السلام) وسمو أخلاقه فلم يرض بالافراج عنه حتى اشترط إخراج جميع أصحابه.

4- حرمه على هيبة الدولة الإسلامية رغم أن من يملك زمامها مجرمون فاسدون قتلوا آباءه الطاهرين وهو في معتقلهم حينما وقعت الحادثة. إلا أنه (عليه السلام) كان ينظر إلى المصلحة الإسلامية العليا ولهذا الحرص شواهد عديدة في حياة أجداده الطاهرين ذكرنا جملة منها في كتاب (دور الأئمة في الحياة الإسلامية).

-5 الاهتمام بقضايا الناس وبذل الوسع لقصائهما وإدخال السرور عليهم، وفي ذلك روى ابن شهراشوب في المناقب وكذا ورد في كتاب الخرائج والجرائح عن أبي هاشم الجعفري -من نسل الشهيد جعفر الطيار- انه سمع الإمام العسكري (عليه السلام) يقول (إن في الجنة لبابة يقال لهالمعروف، لا يدخله إلا أهلالمعروف)، فقال أبو هاشم: فحمدت الله في نفسي وفرحت بما أتكلّله من حواجز الناس، فنظر إلى أبو محمد (عليه السلام) وقال (نعم فدُمْ على ما أنت عليه، وإن أهلالمعروف في الدنيا هم أهلالمعروف في الآخرة).

-6 عدم أهلية المتصدين لولاية أمر الأمة وعجزهم عن مواجهة التحديات، وإقرارهم بذلك، بل واعتراضهم بأن أصحاب الحق هم أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، إلا أنهم غصبوهم حقهم بالحديد والنار، وتوجد في هذا المجال اعترافات للمسلمين من لدن زمان أمير المؤمنين (عليه السلام)، كقول قائلهم (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن).

-7 حث الإمام (عليه السلام) الناس على اللجوء إلى الله تبارك وتعالى في جميع أمورهم والتوجه إليه بطلب حواجزهم للدنيا والآخرة مهما كانت ضئيلة أو كبيرة من دون إهمال الأسباب والوسائل الطبيعية التي هيأها الله تعالى للإنسان.

وبهذه المناسبة أقول لكم: قصدني أكثر من شخص خلال الأيام الماضية وشكوا من الجدب في هذه السنة وشحّ الأمطار والوضع المزري للزراعة والثروة الحيوانية بسبب ذلك، وطلبوا إقامة صلاة الاستسقاء، فقلت لهم ممازحاً: إن أهل المدن لا يريدون المطر لأنفسهم لما يسبب من إرباك وتعطيل لبعض مصالحهم وتضرّر الطرق فهم لا يتفاعلون مع صلاة الاستسقاء، فلوا أقمتموها عندكم ليتحقق التوجّه والمصدق في الدعاء ولم تقيموها فإن الدعاء والتوكّل بالمعصومين (عليهم السلام) كفيل باستنزال الرحمة الإلهية وقد أغاث الله تعالى الناس بالمطر هذه الأيام عشية ذكرى استشهاد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) صاحب حادثة صلاة الاستسقاء التي ذكرناها.

هكذا ينبغي أن نقرأ سيرة المعصومين (عليهم السلام) ونستفيد منهم، ونحن نعيش اليوم عصر انتشار الضلالات والأفكار المنحرفة وأنواع الادعاءات الماكرة التي يريد منها أصحابها ركوب رقاب الناس والسلط عليهم، ويكون الخلام منها والنجاة من لجتها المظلمة برکوب سفن النجاة التي أرشدنا إليها الأئمة (عليهم السلام) وهم مراجع الدين الرساليون العاملون العارفون بزمانهم الذين يفرون بأعمارهم لإنقاذ الناس من الجحالة وحيرة الصلاة.

وهذه المسؤلية لا تختص بالعلماء والحوزات العلمية الدينية بل هي مسؤلية الجميع وكل شخص بحسبه وبما يناسب من الآليات المؤثرة، وإذا عجز أحدكم فليلجأ إلى من هو أعلى منه معرفة، ولا يتوقف عن أي جهد يستطيع بذله، ولابد أن يسبق هذا تفقه في الدين ولو بالمقدار الذي ينفعه في إصلاح نفسه ومن يليه ليتمكن من أداء هذا الدور المبارك ويحظى بشفاعة الإمام الحسن العسكري وولده المهدي الموعود (عليهما السلام).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

خطاب سماحة المرجع اليعقوبي